البنـــاء
السنة السابعة / الأربعاء / 15 تموز 2015 / العدد 1832
Seventh year / Wednesday / 15 July 2015 / Issue No. 1832

أيادٍ صغيرة... تجارب فنية واعدة في الفنّ التشكيليّ

لمى نوّام

ما أجمل أن يشعر أطفالنا أنّهم موهوبون، وأنّ ما يفعلونه ـ حتى وإن كان بسيطاً ـ يلقى التشجيع منّا، ويحظى باهتمامنا. والحريّ بنا هنا، أن نؤمّن لهم كافة المقوّمات والظروف الملائمة لتنمية بذور مواهبهم الصاعدة. وإن اتّخذنا الرسم مثالاً، فما علينا إلّا أنّ نشجّعهم ـ منذ نعومة أظافرهم ـ على الرسم والتلوين وعمل الأشكال واللوحات الفنية، بهدف صقل مواهبهم وقدراتهم، من خلال توفير التلوين والأوراق لهم، ليُعبّروا عمّا يجوب في أذهانهم وخواطرهم من أفكار.

هذا ما تقوم به «مدرسة الليسيه الفرنسية» – فردان لطلابها، داخل المدرسة وخارجها. إنّها تجربة يعيشها الطفل ليستخلص منها عِبَراً ودروساً لا ينساها، وذلك تحت إشراف المعلّم وتوجيهه.

من أنشطة المدرسة، معرض «سمول هاندز» أو «أيادٍ صغيرة»، الذي أقيم يوم الجمعة الماضي في غاليري «آرت سبيس» ـ الحمرا. وشارك فيه ثمانية أطفال تتراوح أعمارهم بين 4 و8 سنوات، وقدّموا ثلاثين لوحة، أبدعتها أياديهم الصغيرة لتكون ذكرى جميلة في مشوار إبداعهم.

«البناء» واكبت فعاليات المعرض، والتقت الفنانة التشكيلية جنان بزّي، وهب المشرفة على أعمال الأطفال، وأستاذة لغة فرنسية وفنون في المدرسة، فتقول: «يحتاج الرسم يحتاج إلى أداة الريشة أو القلم أو الإصبع، وأحياناً أصابع اليد الواحدة... ومن هنا انطلقت تسمية المعرض ـ سمول هاندز ـ لتركّز على أهمية هذه اليد الصغيرة في عملية الإبداع. تشهد المدرسة في نهاية السنة الدراسية معارض مختلفة من الرسوم والأشغال على الكانفا، وحتى على قواطع الطرق الإسمنتية أمام حرمها. وتكون هذه الأعمال ذات هدف فني واجتماعي، ليعي الطفل مكانته في الحياة داخل الوطن... هكذا يعيش أطفالنا تجاربهم خلال السنة الدراسية في كل الميادين، كالرسم والأشغال الجماعية والعلوم واللغة... وكلّها ميادين مترابطة لا تتجزّأ، ويتم تقييم الأطفال من خلال تمكينهم في عدد من المهارات المطلوبة منهم».

وتضيف بزّي: «رسم الطلاب أكثر من ثلاثين لوحة، عُرض منها 25 فقط لأطفال تتراوح أعمارهم بين 4 و8 سنوات. والأكريليك فقط هو المستخدم في اللوحات، أما مواضيع اللوحات فهي من اختيار الأطفال. إذ لكل طفل مزاجه، وأسلوبه الذي يعبّر عبره. وهنا يكمن دوري في توجيههم من بعيد لتحقيق هذه الفكرة أو تلك، عبر التوليف الصحيح ومزج الألوان، من دون فرض رأيي أو التأثير عليهم. عملنا منذ ثلاثة أشهر للوصول إلى هذا المعرض، تعلّم الأطفال خلال هذه الفترة الكثير من المهارات والتقنيات في التنفيذ وخلط الألوان، وزادت الثقة بالنفس لدى كل واحد منهم. وغاليري آرت سبيس كان البيئة الحاضنة لنا جميعاً، ولم تبخل علينا إدارته بأيّ تعاون مادي أو معنوي».

وأضافت: «من خلال الرسوم، تلاحظون ميل الأطفال إلى مواضيع معيّنة ومختلفة. محمد أحبّ رسم الشخصيات والحيوانات، بتول تحبّ الأزهار والأجسام الغريبة، سيدرا تحبّ كلّ ما هو غريب وغير مألوف، ليا تسرح بحرّية في تأليف مساحاتها اللونية، سارة دقيقة وترسم عمق الأشكال الهندسية كالدوائر والخطوط المزخرفة، أما جودي فبارعة في التأليف ولوحاتها تحتوي على عدّة مواضيع في آن.

شخصياً، أحبّ كل أعمالهم ولا أميّز بين عمل وآخر. وأكثر من ذلك، أتعلم من سجيّتهم أحياناً كفنانة تشكيلية، وعلاقتنا تقوم على احترام الرأي الآخر وتتبادل أفكارنا وتنتهي المحاضرة بتشبيه كل عمل من أعمالهم بلوحات الفنانين الكبار. وهنا تكمن الثقافة الفنية».

وتعتمد بزّي في تعليمها الرسم للأطفال، على ورش عمل كثيرة، متّصلة هنا وهناك، تقدّم لهم من خلالها، مبادئ تقنية بسيطة تتجسد في استخدام الأشكال الهندسية من مثلثات ودوائر ومربعات، مع إضافة بعض اللمسات النهائية، ليصل الطفل إلى الشكل الذي يريد رسمه، ضمن ما يتاح له من إمكانيات وتنوّعات بالأشكال.

وتؤكّد بزّي قائلةً: «أنا أسعى إلى الاهتمام بتعليم الرسم للأعمار التي تتراوح بين سنّ ما قبل دخول المدرسة وحتى تسع سنوات. لأنني، ومن خلال خبرتي التي اكتسبتها من مشاركتي في أكثر من مهرجان ومعرض، اكتشفت أن الطفل في هذه المرحلة قابل للتعلّم أكثر من غيره ذوء الأعمار الأخرى. إذ يكون خامةً نضرةً تستطيع تشكيله كما تشاء».

وتضيف: «أحرص بعد نهاية كل ورشة على توثيق انطباعات كل طفل بخط يده، فأصوّرها وأحتفظ بها لمراحل متقدمة يمكنني الاستفادة منها في تطوير آلياتي، إلى جانب كونها ستظل ذكرى جميلة للحظات جمعتني بأطفال علّمتهم تقنية الرسم».

واشتركت بزي التي تعشق العمل مع الأطفال في معارض كثيرة وفي رسم جداريات، وشاركت في مهرجانات دولية في الأردن واليونان، وآخرها كان في نيسان الماضي في المغرب. وهي بصدد التحضير لمعرض فرديّ يضمّ عشرين عملاً جديداً. أما المعرض الفردي الأخير لها فهو «عشق الروح»، وأقيم في النادي الثقافي العربي ـ الحمرا خلال حزيران وتموز عام 2013.

صاحبة «غاليري آرت سبيس» الفنانة التشكيليّة ليلى كبّة، قالت إنّ المعرض ناجح جداً لأنه كان فرصة للأطفال لينمّوا مقدرتهم بالتعبير، والإنطلاق من خلال الرسم ومزج الألوان. فمثلاً، كانت هناك طفلة خجولة في بداية الدورة، وبعد عدة دروس، أصبحت واثقة من نفسها، ولاحظنا ذلك لدى الأطفال جميعاً. ودائماً قبل كل درس يتأملون كل ما في الغاليري، وهذا ينمّي فيهم حبّ الرسم وأهميته».

ورأى الفنان التشكيلي رضوان باقي أن معرضاً للأطفال في «غاليري آرت سبيس»، يعدّ خطوة أولى لصناعة فنانين. فما يملكه الأطفال من مواهب في الرسم وتجسيد ذلك شكلاً ولوناً، يُعتبر الصعود الأول إلى دائرة النور والشهرة في عالم الفنّ. فإضافة إلى ما يقدّمه «غاليري آرت سبيس» من فنّ معاصر ولعدد هام من الفنانين على الصعيد العربي، نراه فتح أيضاً الأبواب للموهوبين الأطفال وذلك من خلال دورة في الرسم مع الفنانة جنان بزّي، فهي تقوم بعمل المرشد لطريق اللّون. فأعمال الأطفال قائمة على الفطرة والبساطة، إلّا أنّها توصل رسالة من كل طفل. وما لفت انتباهي، مجموعة أعمال للطفل محمد مكتبي، إذ إنّه ـ كما تقول المعلّمة جنان ـ يختار موضوع لوحاته ويعيد صوغ العمل بطريقة متكاملة، ومن رسومه لوحة لشارلي شابلن.

وختم باقي: «عنوان المعرض أياد صغيرة، ولكن رسالة الفن كبيرة. وهي خطوةٌ إيجابية لإيصال واقع الفن وترسيخ الثقافة والفنون في ذات الطفل، ليترعرع عليها ويكتشف أسلوباً فنياً يتمكّن من خلاله الوصول إلى العالمية».

ويقول الدكتور محمود شبّر، مدير «غاليري آرت سبيس»، وهو فنان تشكيلي: «من الأمور التي تهتمّ بها إدارة الغاليري، إشاعة ثقافة الجمال من خلال الفنون التشكيلية، وهذا يعتبر سياسة عامة لدينا... من الأفكار التي كانت مطروحة ضمن هذا السياق، تنظيم دورات للرسم للفئات العمرية الصغيره من 6 إلى 12 سنة، وأسميناه ـ الكفّ الصغيرة ـ اعتمدنا أساليب حديثه في استقطاب انتباه الطفل لكيفية أن يهتم باللون والخط والكتلة والفضاء، من دون أن نفرض عليه أي أمر خارج منظومته المعرفية البسيطة والبكر. نستطيع من خلال ذلك زرع روح الجمال وتمظهراته في المجتمع عن طريق هولاء الأطفال».

زوّار المعرض كانوا من الأطفال والفنانين الذين توقفوا أمام إبداعات الأيادي الصغيرة، فالأستاذ محمد صفوت مثلاً، فوجئ بجهود الأطفال الشخصية وعدم إضافة معلّمتهم جنان أي لمسة شخصية على الأعمال.

الأطفال المشاركون في المعرض هم: ليا قاروط (4 سنوات)، بتول راشيني (5 سنوات)، جودي الخضر (5 سنوات)، سارة قاروط (6 سنوات)، تاليا قباني (6 سنوات)، محمد مكتبي (6 سنوات)، ليلاس مكتبي (8 سنوات)، وسيدرا قباني (8 سنوات).

«داعش» يستبيح العقول البريئة!

رانيا مشوّح

على ما يبدو أنّ تنظيم «داعش» الإرهابي لم يكتفِ بالحرب القذرة التي شنّها على بلاد الشام والعراق، وما أقترفه من تفجيرات طاولت الأبرياء في أماكن مختلفة من العالم، فقرّر اقتحام البيوت والعقول البريئة التي لا تدرك معنى الحرب المستعرة أو مفهومها، وأخذ ينشر إرهابه بطرق مختلفة للوصول إلى عقول الأطفال الأبرياء، وتلويثها بألعاب إرهابية دموية هدفها التشويش على تفكيرهم وسلب طفولتهم وبراءتهم. إذ ابتكر التنظيم ألعاباً إلكترونية بإمكان أيّ طفل في أيّ مكان من العالم الحصول عليها عن طريق شبكة الإنترنت، وتعلّم هذه الألعاب الأطفال أساليب القتال والتدمير والتعذيب والاقتحام والقنص، وتقنعهم بتفجير أنفسهم حتى يتوصّلوا إلى «الشهادة»، التي هي المطاف الأخير في هذه الألعاب. ليتمكنوا من كسبها.

ومن هذه الألعاب: «وحدة النمر»، «لعبة التعذيب»، «لعبة الوحدات الخاصة»، «لعبة تنظيم الدولة الإسلامية أو صليل الصوارم».

وللحديث عن خطر هذه الألعاب والتطبيقات على الأطفال، التقت «البناء» الخبير في دعم الأطفال واليافعين نفسياً الأستاذ بشر الخطيب الذي قال: «لاحظنا انتشار ألعاب تحرّض على العنف والقتل في الآونة الأخيرة بين الأطفال. وهذه الألعاب تمثّل خطراً كبيراً على صحة الطفل الجسدية والنفسية والعقلية، وعلى سلوكه، وعلى مجمل أنماط ثقافته بشكل عام. وذلك عبر ما تفرزه هذه الألعاب من معطيات سلبية ونتائج خطيرة يصبح فيها القاتل هو الفائز. كما أنها تضخّ نزعات عدوانية عدّة للثقافة الإيجابية وتعمل على تقويض قيمها وقدراتها ومؤثراتها في كيان الطفل وسلوكه. هذه الألعاب راحت تجذب الأطفال والمراهقين كل يوم، فنلاحظ على الأطفال كيف يبدأون بالتأثر بأصوات النيران والطلقات الوهمية، بحيث تتعالى أصواتهم وهم يمزقون الأهداف عن طريق المسدسات والمدافع الحاسوبية، وهذا كله يفضي إلى نزع الحساسية إزاء العنف، وتحويل الضرب والإيذاء إلى أمر عاديّ يمارسه الكثيرون بشكل عاديّ كل يوم. وإضافة إلى تأثر الأطفال بما يسمعونه كل يوم من أحداث دموية تدور حولهم في المجتمع».

بشر الخطيب

في حال كان الطفل قد دخل في مراحل متقدمة من التأثر بهذه السلوكيات وبات تأثيرها جلياً في تصرفاته مع أقرانه، هل من الممكن إعادة تأهيله بحيث لا تستمر مؤثراتها معه عندما يكبر؟ في هذا الإطار قال الخطيب: «هنا يأتي دور الخبير النفسي، إضافة إلى الدعم الأسري من خلال إحاطة الطفل بثقافة مغايرة ونبذ الثقافة السلبية التي تلقاها، لا نبذه هو. وبالتالي يصبح لديه حاجز نفسي ضد ما يتلقاه من سلوك تعنيفي في هذه الألعاب. كما يجب أن تشترك المؤسسة التربوية التي يتبع لها الطفل في مسألة علاجه وإحاطته بالحب، والعمل على إشعاره أن العنف سلوك غير مبرّر وخارج عن الإنسانية. وفي هذا الوقت، أعتقد أننا في مأزق كبير إذا ما اتّبعنا هذه الطريقة مع كافة الأطفال، فانتشار القتل والدمار أمامهم يساعد في تأزيم المشكلة إذا لم نحط بها باكراً. فالطفل بطبيعته يميل إلى حب القوة. والأطفال يؤثرون في بعضهم، ومن السهولة انتقال هذه الحالة من طفل إلى آخر من دون أن نشعر بها».

وعن دور الأهل في مواجهة هذه المشكلة التي اقتحمت حياة أطفالهم قال الخطيب: «يجب أن تكون الأسرة الرقيب الأول على الطفل، وهي الموجّه العام لسلوكه ونشاطه في كل ما يقوم به داخل المنزل وخارجه. وأن يكون ذلك من خلال تعميق صلتها بالطفل بحيث لا تخلو هذه الصلة من المساءلة والتدقيق والتنبيه والتوجيه لمعرفة كل ما ينتاب الطفل من مشكلات وتوجّهات وميول، والعمل على حل هذه المشكلات قبل تفاقمها ووصولها إلى الحالة التي يصعب السيطرة عليها وحلها. وتعديل مسار سلوكه إلى الوجهة الإيجابية، وفي حال صار الأمر متقدماً يتوجب متابعة حالته مع أختصاصيّ نفسيّ. كما أن لهذه الألعاب خطراً كبيراً في ضعف العلاقات الأسرية وتفككها، والجرائم والشذوذ الجنسي والنفسي».

أما عن دور المنظمات الدولية المعنية بالطفل وحقوقه فقال: «في السنوات الأخيرة شعر المجتمع الدولي بتفاقم مشاكل العنف التي تنتجها هذه الألعاب على الأطفال. وبدأ فعلاً باتخاذ بعض الإجراءات وكانت البداية من مدينة لوس آنجلس الأميركية، إذ بدأت بتطبيق قانون يحمي الأطفال والمراهقين من العنف الالكتروني. إذ ينصّ القانون على إنشاء 30 قاعة في المدينة يطبق فيها الحظر وتثبت فيها كاميرات مراقبة على الأحداث. ومنح تراخيص تتضمن شروط للألعاب المسموح اعتمادها والفئات العمرية لكلّ منها».

للمجتمع دور لا يقلّ عن دور الأهل والمنظمات الإنسانية، وعن هذا حدثنا الخطيب: «للمجتمع الدور الفاعل والأقوى في مجال الحدّ من تأثير دخول هذه الثقافة التعنيفية إلى عقول الأطفال من خلال عدم السماح بتداول هذه التطبيقات في الأسواق والترويج لها في مقاهي الإنترنت، والاستعاضة عنها بألعاب إلكترونية تعليمية هادفة. فالطفل بطبيعته يميل إلى ما هو موجود ومؤثّر في واقعه من ألعاب. فعندما نسأل أنفسنا هل داعش وُجد في يوم وليلة؟ الجواب هو لا، فهذه الهمجية التي نراها اليوم في داعش هي نفسها التي يلعب بها أطفالنا منذ وقت وحتى الآن».

اقتحموا حاضرنا بشراسة ووحشية، ولم يتوقفوا عند هذا، بل أخذوا يلوّثون آمال المستقبل، ويشوّهون عقولهم حتى تستمر بصماتهم الآثمة تخطّ لنا بالقتل والدمار أبشع القصص والجرائم في السنوات المقبلة.

الرؤى التأويلية الحداثوية في «إيقاعات متمرّدة» للشاعرة ليندا نصّار

هاني عقيل*

مما لا جدال فيه، أنّ نصوصاً حداثية كثيرة، تحتفي بالغرابة والغموض كاشتراطات نصّية في بناء النصّ، من خلال التراكيب اللغوية المستحدثة، أو من خلال الاحتفاء بالرمز. من هنا، كان لزاماً على الناقد أن يأخذ بالتأويل لفتح النصّ بفيوضات نقدية على طاولة المتلقّي. ولا يخفى علينا أنّ التأويل مصطلح قديم تنبثق منه أطياف المعرفة، وتناوله عددٌ من النقّاد، وما زال إشكالية اصطلاحية إلى يومنا هذا.

ومن خلال القراءات الثلاث، وجدنا أنه يتشابك بأواصر عميقة معها، من خلال مراحل الاستقراء والتفسير والتحليل، للوصول إلى جادة الحكم النقدي. ومن هنا، لا بدّ من تناوله بحذر، ويجب عدم الخلط بين مفهومه القديم ومفهومه الحديث.

قديماً، لا يعدو التأويل كونه اشتراطاً نقدياً يُعنى بمحاولة فهم المنجز الأدبي وتأويله. وحديثاً، هو الولوج إلى خفايا المنجز الأدبي، والتغلغل إلى ما وراء المعنى لفهم المغزى الحداثوي في الرموز النصية، وتوظيفها لوضع دلالات مستحدثة داخل النصّ. وهذا يتم من خلال طرح الناقد المتمكن من أدواته، جملة من الاسئلة النقدية المجدية، والبحث لها عن إجابات، وربط تلك الإجابات بالواقع المعاش والفكر المطروق ايديولوجياً، وهذا لا يتأتى إلا من خلال ربط النصّ بكل اشتراطاته وسلطته، بتلك المفاهيم المطروحة مجتمعياً، لكي يمارس النصّ سلطته الإبداعية والفكرية.

من خلال ذلك كلّه، سنتطرق إلى تجربة الشاعرة اللبنانية ليندا نصّار في ديوانها «إيقاعات متمرّدة».

عند تخطّي عتبة الولوج إلى نصوص الشاعرة اللبنانية ليندا نصّار، لا بدّ لنا من التقصّي عن المعنى المفقود. إذ هي تستنفر القارئ لاستحضار كل اشتراطاته ومرتكزاته التأويلية لفهم النصّ، على رغم بساطة التراكيب. والسبب يكمن في أنّ مجمل نصوصها يفسح المجال أمام تلوّن الذائقة الفردانية لدى المتلقي، وهذه لعمري حذاقة شعرية تحسب للشاعرة، إذ هي تترك عملية الكشف عن النصّ للقارئ أيّاً كان نوعه، وله مطلق الحرية في استخدام أدواته الذهنية لاستقراء النصّ كما في قولها:

وفي سبيل المثوى الأخير
تنهزم سكرة مشتتة
سكرة علّمتنا السّير
أسكنتنا في نهش السّحاب
وما بين العصف والريح شغف مغاير
وتهافت لحظات متناهية
تعدو كذكرى هاربة.

في نصوص نصّار قيمة صوَرية خيالية تدعو إلى التأويل. فهي توظف الدوافع النفسية وبشكل حاذق لعمل ارتجاجات ذهنية لدى المتلقي، لتحريك ديناميكية حيوية داخل النصّ، تتداخل والبناء الهندسي الجمالي داخل النصّ، وذلك من خلال طرح متضادات صورية وفكرية، هي من الاهمية بمكان. وهذا ما يؤدّي إلى فهم المتلقي جدلية النصّ والواقع المعاش.

متشابهون
يحدّقون بك وأنت عند محطة تشبههم
لا تعنيهم سوى صوَر رسمتها أصابعهم
الملوّثة
متشابهون وسمات الأنا على جبينهم
لا ترتعش لهم عين
يأكلون من روحك
يجهدونك
يرمونك بركلة واحدة
تفيق أناك
عند رصيف اليقظة
ستدرك أنهم متشابهون
اللاوعي، الميدان الثري الذي تتشكل فيه رؤى النصّ الشعري بصوَر وإيقاعات لها ارتباطات ذهنية والوعي الانساني والوجودي للشاعرة، ويتم ذلك من خلال الإشارة إلى ثيمات النصّ غير المرئية. وهنا يلعب الخيال الدور الفعّال في زجّ الأطياف الشعورية والفكرية معاً، لتفعيل البنى التعبيرية التي تأخذ على عاتقها بناء التجربة الانسانية لدى الشاعرة.

عدني والليل
يحلو بالأماني
وغفوة المشتاق
عجيب أمرها،
تشبهني
تتمرّد عليّ
وابتساماتها مبتذلة،
ترثي مدناً
سرقتها الآهات
وبدهاء تبرم عقداً،
ومع الليل
نعود، فيحلو الرّقاد.

إن معمارية البناء الجمالي الهندسي للمنجز الأدبي، لا بدّ أن تقوم وفق مزج نسب متقاربة من العاطفة والخيال والفكرة لطرح الصورة الشعرية مع الاحتفاء بالحسّي وغير الحسّي، وهذا ما يجعل النصّ يحتفي بالتأويل الصوَري بعد التأويل المعنوي للنصّ المرمّز. إذ إنّ قدرة الشعراء تتفاوت في ميدان التخيّل لصنع الصورة الشعرية. وبالتالي، هي تتباين في رؤى التشكيل. والشاعرة ليندا نصّار تحلق بنصوصها وصوَرها الشعرية بعيداً عن واقع الزمان والمكان. وهي شاعرة تملك خيالاً خصباً لتقدّم صوراً شعرية تمنح المتلقي دفقاً شعورياً حسّياً بعد تأويلها.

هو مضى تاركاً الظل والركام
تشيّع عند عتبة اللّامكان
هو أطلق الضّوء للغرقى
وقاد سفينة الأحلام
رحل تاركاً شبيهاً له

وراح يروّض الطوفان

الصورة الشعرية هي بالضرورة أداة الشاعر التعبيرية وتتمتع بتقنية هندسية ترضخ لرؤى الشاعر وحساباته المنطقية. وليندا نصّار من الشاعرات اللواتي امتلكن تلك التقنية في بناء الصورة الشعرية وبحذاقة عالية، ما حدى بالمتلقي على أن يلقي بغلاله التأويلية على جسد النصّ، لفهم مخزونه الفكري واستشفاف رؤاه الشعرية. وهذا نتيجة تمكّن الشاعرة من إحالة تلك التصوّرات إلى معين شعريّ أخاذ.

قناديل منسيّة
في ليلة كلّلها السواد
أشعلت أضواء مصابيحي
ورحت أنتظر
كأساً من النبيذ من خابية عتيقة
وساعة تومض في الميعاد
مهجورة لحظات عمري كلّها
وقفت قدّام قناديلي بلا ضياء
أبحث عن أشلائي

قصيدة النثر الحداثوية، ما هي إلا عملية اختزال صوَري وإيقاعي رؤيوي. فلا بدّ من التأويل، وكلّما تمثل النصّ الاشتراطات الحداثوية لقصيدة النثر، كان أدعى إلى التأويل، لذا تستخدم الشاعرة اللبنانية ليندا نصّار جملة من الرؤى والاشتراطات الصورية في تكثيف اللغة الشعرية لديها، خصوصاً تلك الرؤية التي تبني من خلالها النصّ، وتشكّل الصور. فهي تضيء المعنى بفيوضات تغلق عنا باب الواقع وتفتح مديّات من التأويل للولوج إلى جوهرها البحثيّ في النص المطروح.

في ذلك العباب
وانفجر الطوفان بي في عتمة الأشواق
في ليلة عاصفة مجنونة الأمطار
والآن ما زالت تزجّ الريح
وكان من آثارها الغرق
تعوي من الغرق
عقارب الساعات والثواني
واللحظات أصبحت غرقى من العذاب
ولفّت الأماني
ومن جديد راح ينهمر
في ليلي المطر
عن مهرجانات بلا شرعية...

اقتضت الحذاقة النقدية الحداثوية من الناقد أن يلج المنجز الأدبي من أبعاد مختلفة. فقصيدة النثر الحداثوية موشور صلد بأطياف متعدّدة. ولا بدّ للناقد من استقراء النصّ لأكثر من مرّة، وتعدّد التناول النقدي يفتح النصّ أمام المتلقي بشكل جليّ، ويسحره بجمالية التناول المعمّق. وهو لا بد أن يضيف إلى رؤى الشاعر ما خفي عنه دلالياً وشكلياً ورؤيوياً. ونصوص الشاعرة ليندا نصّار تحتفي بعدّة أبعاد تمكّن الناقد والمتلقي من تلمّس مواطن التأويل الجماليّ ـ الحسّي وغير الحسّي في النصّ المطروح.

البعد الزمني: إنّ القيمة التأويلية للنصّ لا يمكن أن تتمظهر على يد الناقد إلا من خلال ملاحقة النصّ وفق الزمن الرئبقي الذي لا يقرّ على حال. وهذا ما يدعو شعراء قصيدة النثر من تحريك بين أزمنة متباينة لخلق حالة من الفوضى تدعو إلى التأويل. إذ إن سحب النصّ نحو أزمنة موغلة سحيقة في عمق التاريخ، وربطه بالحاضر، من اشتراطات البناء الجمالي للنصوص الحداثوية. هكذا فعلت المبدعة ليندا نصّار، إذ حرّكت النصوص على طاولة الزمن الزئبقي لتدهش القارئ بسيل من الرؤى يحتاج إلى تأويلها اعمال الفكر لدى الناقد والمتلقي على السواء.

سيعود شاهراً حنيناً
وحكاية مستلقية
على جرح فرعونيّ
مزّقت حجراً
تناسلت... تحوّلت
اتركوه لا تذبحوه: نَبَضَ صارخاً
إنّه الأخير
وسط فكري
غلّفه الليل
مسحوراً صار
في قبضة غرقى
فلا تذبحوه!

البعد الحركي: ما يساعد في التأويل، تتبّع الناقد تلك التنقلات الحركية التي تمنحها الشاعرة للنصّ. فمما لا شك فيه، هي تمثل المفاتيح التي يتم من خلالها فتح ما انغلق دوننا من نوافذ النصّ. وفي مجمل نصوص الشاعرة ليندا نصّار، تنقلات حركية هي من الاهمية بمكان. فهي تربط النصّ بثورة حركية يتماهى فيها النصّ وروح الشاعرة الثائرة، والتي لا تقرّ على حال. ففي أحد النصوص تحرّك الشاعرة النصّ بين عدة رؤى بين (العجز والسكون والانتظار والاستلقاء ثم تحريك النصّ بحذاقة رائعة نحو الهروب وشحذ الشغف والتسوّل).

وأنت ما عدت تشبهني
عاجزاً تستلقي
تنتظر بين الظلال
وتسكن فجراً هارباً
وأنا متسوّلة
أشحذ من عينيك
شغفي بعينيك
وأنسى جوعي إليك

البعد اللونيّ: تمارس الشاعرة ليندا نصّار طقوساً لونية لتسح على جسد القصيدة عدة أطياف لونية تبهر القارئ بها. وما لا يخفى علينا، أن تمثل اللون بالمفردة المنطوقة يعطي دفقاً لونياً أكبر للنصّ، ويمنحه قوة رمزية ومبتغى تأويلياً للتعبير عن إرهاصات شعورية لدى صاحب المنجز. وتعطينا قدرة إضافية لفهم النصّ. ففي نصّها «إيقاعات متمرّدة»، تحتفي بجملة ضربات لونية يشرق بها النصّ وتدعونا من خلالها إلى التأويل لمفرداتها (الليل / النور / آخر الليل / في العتمة / رماد / عثرات الظل / غمام).

تدرّج لوني من الروعة بمكان
جياع والليل
وجياعٌ هم، والليل عليهم أغلق أبوابه
والليل قبور
والنور يثور على ذاته
وشفاهٌ تحني غربتها
كأواخر ليل
والريح تصيح بأجراس
في العتمة تشبه حرّاساً
ورماد قد غطّى الإحساس
لم يلد الحبّ ولم يولد
وهنالك في عثرات الظلّ
غمام راح يصلّي والليل يغلق أبوابه.

الشاعرة ليندا نصّار شاعرة برؤى ناقدة، وناقدة بخيال شاعرة، يتهادى الحرف بين أناملها برؤى الحداثة. لغتها مجدية ثرة، تسح على منجزها غلالة تأويلية شفيفة، يتشرنق الإبداع تجربتها الشعرية، وتحفل نصوصها بالبعد اللوني ـ الحركي ـ الزمني، وتتمظهر لديها كينونات شعرية فريدة.

*ناقد وباحث عراقي